317 - ـ فصل : جلال العبادة و جمال العابدين .

كلما أوغلت الفهوم في معرفة الخالق فشاهدت عظمته و لطفه و رفعته تاهت في محبته فخرجت عن حد الثبوت .

و قد كان خلق من الناس غلبت عليهم محبته فلم يقدروا على مخالطة الخلق .

و منهم من لم يقدر على السكوت عن الذكر .

و فيهم من لم ينم إلا غلبة و فيهم من هام في البراري و فيهم من إحتراق في بدنه .

فيا حسن مخمورهم ما ألذ سكره و يا عيش قلقهم ما أحسن وجده ! ! .

كان أبو عبيدة الخواص قد غلبه الوجد فكان يمشي في الأسواق يقول : [وا شوقاه إلى من يراني و لا أراه] .

و كان فتح بن سخرف يقول : قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك .

و كان قيس بن الربيع كأنه مخمور من غير شراب .

و كان ابن عقيل يقول إن التبذل فيه سبحانه أحسن من التجمل في غيره .

هل رأيت قط عراة أحسن من المحرمين ؟ .

هل رأيت للمتزينين برياش الدنيا سمتا كأثواب الصالحين ؟ .

هل رأيت خمارا أحسن من نعاس المتهجدين ؟ .

هل رأيت سكرا أحسن من صعق الواجدين ؟ .

هل شاهدت ماء صافيا أصفى من دموع المتأسفين ؟ .

هل رأيت رؤوسا مائلة كرؤوس المنكسرين ؟ .

هل لصق بالأرض شيء أحسن من جباه المصلين ؟ .

هل حرك نسيم الأسحار أوراق الأشجار فبلغ مبلغ تحريكه أذيال المتهجدين ؟ .

هل ارتفعت أكف و إنبسطت أيد فضاهت أكف الراغبين ؟ .

هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن أو رنة و تر كما حرك حنين المشتاقين ؟ .

و إنما يحسن التبذل في تحصيل أو في الأغراض .

فلذلك حسن التبذل في خدمة المنعم